البنية النصية الكبرى في روايات كتاب التوحيد للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)

زينب حمدي محمد الجزائري
أ. د ليث قابل الوائلي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإنسانية

The Macro Textual Structure in the Narratives of 'Al Tawheed' Book by Sheikh Al Sadouq (D381H)

Zainab Hamdi Mohammed
Prof. Dr. Laith Qabil Ubaid Al Wa'ili
University of Karbala/ College of Humanities

ملخص البحث

لكلِّ نص بنية نصية، تتكون من بنية صغرى ناتجة عن تتابع منتظم بين الجمل، وبنية كُبرى تتكون من مجموعة من الأبنية الصغرى، وتعدّ البنية الكبرى إحدى مباحث معيار الانسجام، التي تعمل على الانسجام الدلالي لمفاهيم النص، وتحقيق صفة الاستمرارية عبر الترابط الكلي لعدد كبير من القضايا والمفاهيم، بصورة أكثر شمولية من مستوى القضايا الفردية؛ وهو الأمر الذي سيتجلى لنا من خلال التطبيق على روايات كتاب التوحيد للشيخ الصدوق؛ بحيث سأتناول أثر الانسجام في تحقيق النصية، ومفهوم البنية الكبرى، ومفاهيم أُخرى مقاربة لها، وكيفية تحديد البنية النصية، وبيان أهميتها، ثم ذكر القواعد الأربع الكبرى (الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب أو الإدماج) للوصول إلى البنية الكبرى للنص.

Abstract

Each text has a textual structure, which consists of a micro-structure resulting from a regular sequence between adjacent sentences or propositions, and a macro-structure consisting of a group of smaller structures, in which the text is viewed as a single whole. The grand structure is one of the topics of the coherence criterion, which works on the semantic harmony of the concepts of the text, and the achievement of continuity through the total interdependence of a large number of issues and concepts, in a more comprehensive way than the level of individual cases.

مقدمة

ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين فرع لساني جديد، هو اللسانيات النصية، يعمل على تجاوز أُطر الجملة الواحدة إلى دراسة النص كوحدة متكاملة شاملة، فهو لا ينصرف عن دراسة الجملة، بل يدرسها بنظرة مغايرة، إذ تتآصر أجزاء النص وتترابط، فلا يغني جزء منه عن الجزء الآخر، بعد أن كانت الجملة هي الوحدة الكبرى للدراسات اللغوية طيلة قرون كثيرة.

وهذا ما سيتجلى لنا من خلال التطبيق على روايات كتاب التوحيد للشيخ الصدوق باعتبارها نصوصا متسقةً نحويًا ومنسجمةً دلاليًا.

مدخل: أثر الانسجام في النصية

إذا كان الاتساق ينتج عن متتاليات من الجمل الخطية المترابطة بوسائل وأدوات لغوية ممتدة على سطح النص، فإن الانسجام يعتمد على الاتساق، وقيودًا أخرى غير خطية [١] إذ تسهل هذه الوسائل على السامع معرفة بناء القاعدة الدلالية وفهمها في النصوص، فالانسجام هو البنية التحتية لأدوات الاتساق التي تربط ظاهر النص.[٢] إلا أنّ أدوات الربط وحدها غير كافية لقياس وحدة النصوص فهناك نصوص تحتوي على أدوات الربط لكنها غير منسجمة دلاليًا، وأخرى منسجمة رغم قلة الأدوات الرابطة فيها، وهذا ما أشارا إليه (هاينه من وفيهفيجر) بقولهما: «فوحدة النصوص لم تعد تقاس فقط من خلال الظواهر السطحية، بل يبحث عنها في أبنية القاعدة الدلالية. مما يتم شرحه بناء على النماذج الأساسية الدلالية مسائل المركبات المعقدة، وتناسق النص، وأيضا ـ مع استثناءات... استقلالية النصوص.»[٣]

أما عن تحقق الاستمرارية في هذا المعيار التي هي صفة النصية، فقد أشار

الدكتور سعد مصلوح إلى اختصاص الاتساق برصد الاستمرارية المتحققة في ظاهر النص، على حين يختص معيار الانسجام بالاستمرارية الدلالية المتحققة في عالم النص، والمتجلية في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها [٤].

وتأتي مكانة الانسجام لتضمن «الاتساق فيه، أي هو المعيار الرئيس لصيرورة النّص نصا مقبولا، وربما تهيأ للنص معيار الاتساق إلا أنه لا يمكن القول بنصيته لفقدانه الانسجام...» [٥]. كما يُستبعد «اعتماد معيار الاتساق من دون الانسجام؛ لأن الأول لا ينهض وحده في الكشف عن الحقيقة» [٦].

مفهوم البنية الكبرى

تعرف البنية الكبرى بأنها أبنية شمولية في محتوى النص [٧]. تعرّف أيضا بأنها: «كل قضية مستنتجة بواسطة فئة فرعية من متوالية هي بنية كبرى لتلك المتوالية الداخلة تحت اللزوم، وفي مستوى تال يمكن أيضا أن تتوقف القضايا ذات البنيات الكبرى على الاندراج في إطار أوسع أي تستنتج أعم بنية كبرى استنتاجا ملتحما» [٨].

مفاهيم مقاربة:

أولًا: موضوع الخطاب

يعرّف على أنه «الفكرة الأساسية أو الرئيسة في النص التي تتضمن معلومة المحتوى الهامة المحددة للبناء في كامل النص بشكل مركز ومجرد» [٩]. والذي يُعد في رأي فان دايك «ليس شيئًا غير قضية كبرى على مستوى التجريد؛ ولا يجب أن يُذكر في النص صراحة» [١٠].

والبنية الكبرى هي افتراض يحتاج إلى وسيلة ملموسة تبينه وتوضح مفهومه، وهذه الوسيلة هي موضوع الخطاب. على أن الفرق الوحيد بين الاثنين «هو أن تأسيس البنية الكلية يتم عبر عمليات

أساسها الحذف والاختزال، بينما موضوع الخطاب يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخص هذا الموضوع»[١١]. لكن دكتور محمد الخطابي لا يرى فرقًا بينهما إذ يمكن الوصول إلى موضوع الخطاب عبر العمليات نفسها مادام النتيجة التي نصل إليها واحدة[١٢].

ثانيًا: البنية العليا

تعرّف بأنها: «هياكل عرفية تقدم الشكل العام لمحتوى القضية الكبرى للخطاب»[١٣]. وتعد البنية العليا «إحدى الروابط النصية على المستوى الأعلى باعتبارها أداة تنظيمية تحدد النظام الكلي لأجزاء النص، وهي الطريقة التي ترتب بها التفاصيل طبقا لخطة عامة؛ بما يساعد القراء على فهم وتذكر النص مرة أخرى»[١٤].

وقد أشار فان دايك إلى وجود فروق واضحة بين البنية الكبرى والعليا، فالأبنية الكبرى: أبنية دلالية لا يستغنى عنها في الربط الأفقي بين الجمل، وبها تفهم تيمة النص وجوهره، فهي ترتبط بها ارتباطًا وثيقًا، وهي روابط ضرورية معرفية وليست عرفية في حد ذاتها، بينما الأبنية العليا فترتكز على قواعد عرفية شأنها شأن الأبنية النحوية من وجهة النظر هذه، إذن الأبنية الكبرى تتعامل مع المحتوى، والعليا مع الشكل الذي يُنظم أجزاء النص[١٥].

أما الخاصية المشتركة بين البنيتين، فكلتاهما لا تتحددان بالنظر إلى جمل مستقلة، بل إلى النص بوصفه كلًا متكاملًا أو قطعا محددة من النص ومتكاملة[١٦].

تحديد البنية الكبرى

للبنية النصية أبعادٌ مختلفة منها ما يتعلق بالنص، وأخرى بفهم النص وسياقه، فمن الخطأ على حسب قول براون ويول الاقتصار على البنية النظمية والمفردات المستعملة للوصول

إلى فهم رسالة معينة، فمع الاعتماد عليها لا بد من عوامل أخرى أهمها دور المتلقي (القارئ أو السامع) في الوصول إلى المعنى المراد من النص[١٧].

إن هذه البنية «لا يمكن تحصيلها بمجرد جمع الدلالات الجزئية أو القضايا، بل لابد من النظر إلى العلاقات بين كل تلك القضايا أو الوحدات النصية الصغرى»[١٨]. وكذلك مسح النص، والقيام بمؤشرات نصية لكشف البنية الكبرى أهمها: العنوان، الفقرة الأولى والأخيرة من النص، البنية العليا، سياق النص، مناسبة النص، الفهم الخاص للقارئ[١٩].

ولما كان أثر التلقي من أهم العوامل في تحديد البنية الكبرى للنص، بل المحدد الوحيد عند بعض النصيين، كان لابد من تناوله ببعض من الشرح والتفصيل.

فالقارئ لا يتلقى معنى النص وهو خالي الذهن من أي سابقة دلالية، بل يكون مزودًا بالتقاليد والأعراف الثقافية التي يوفرها له مجتمعه، والتي تسهم في إيضاح معنى النص وفهمه، وهكذا يتقابل عنده أفقان: أفق النص، وأفق القارئ، وينصهران ليولّدا عملية القراءة في انسجام النص وفهمه[٢٠].

فطبيعة «البنية النصية الكبرى الدلالية، وتعلقها بمدى التماسك الكلي للنص تجعل من المتلقي محدّداً أساسياً لها، إذ إن مفهوم التماسك يرتبط كثيرا بمجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص» [٢١].

ومن الملحوظ أن العناصر التي يختارها القراء تتباين باختلاف معارفهم وآرائهم واهتماماتهم. لكن رغم هذه الاختلافات من شخص إلى آخر، نلحظ توافقًا كبيرًا على مستوى التفسير، وهذا الاختلاف يكون جزئيا في البنى الكبرى، أما المبادئ فتكاد تكون ثابتة، وهذا التوافق هو الذي يسهل عملية الاتصال ونقل المعلومات

بين أفراد المجتمع [٢٢].

أهمية البنية الكبرى

تكمن أهمية البنية الكبرى فيما تؤديه من تماسك كلي وجزئي بين متواليات الجمل إذ لا تصلح سلاسل الجمل أن تكون نصًا مقبولًا ومفهومًا وإن التزمت قيود الربط الخطي دون البنية الكبرى، فبدونها يتساءل المتلقي أو مستعمل اللغة عن الهدف وعما تتحدث هذه المتتاليات الجُملية [٢٣].

فعن طريق مفهوم البنية الكبرى «استطاع علماء النص مقاومة الفكرة الشائعة التي مفادها أنّ التماسك النصي يتحدد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل...وتظل البنية الكبرى هي التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدد معنى النص باعتباره عملا كليا فريدا» [٢٤].

قواعد بناء الأبنية الكبرى

ذكر (فان دايك) قواعد أربع كبرى تطبق على سلاسل الجمل للوصول إلى البنية الكبرى للنص وهي: الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب أو الإدماج، وكل بنية كبرى يتم الوصول إليها عبر هذه القواعد يجب أن تتضمن مبدأ الاستلزام الدلالي، أي تكون متضمنة دلاليًا داخل سلسلة الجمل أو القضايا التي تطبق عليها القاعدة [٢٥].

أولًا- قاعدة الحذف:

«مفاد قاعدة الحذف أن كل معلومة غير هامة أو غير جوهرية، أو ثانوية بالنسبة للمعنى، أو زائدة، أو ليست شرطا لتفسير تتابع القضايا بصورة مباشرة أو غير مباشرة - يجب أن تحذف من البنية الكبرى» [٢٦].

ومن مواضع الحذف في كتاب التوحيد ما ورد عن أَمِير الْمُؤْمِنِينَ -عليه السلام- فِي الْقَدَرِ «أَلَا إِنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهَّ، وَسِتْرٌ مِنْ سِتْرِ اللهَّ، وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ اللهَّ، مَرْفُوعٌ فِي حِجَابِ اللهَّ، مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ اللهَّ، مَخْتُومٌ بِخَاتَمِ

اللهَّ، سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللهَّ وَضَعَ اللهُّ الْعِبَادَ عَنْ عِلْمِهِ وَرَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِمْ وَمَبْلَغَ عُقُولِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَهُ بِحَقِيقَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَلَا بِقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ، وَلَا بِعَظَمَةِ النُّورَانِيَّةِ، وَلَا بِعِزَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِأَنَّهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ خَالِصٌ للهَّ تَعَالَى عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الْأَرْضِ عَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ كَثِيرُ الْحَيَّاتِ وَالْحِيتَانِ يَعْلُو مَرَّةً وَيَسْفُلُ أُخْرَى فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيءُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ إِلَيْهَا إِلَّا اللهُّ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ فَمَنْ تَطَلَّعَ إِلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي حُكْمِهِ وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَكَشَفَ عَنْ سِتْرِهِ وَسِرِّهِ وَ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»[٢٧].

والجدول الآتي يبين الجمل المحذوفة في النص ومواضع حذفها والدليل عليها:

موضع الحذف	المحذوف	الدليل
و(...) ستر من ستر الله	ألا إنّ القدر	الجملة الأُولى: "ألا إنّ القدر سر من سر الله"
و(...) حرز من حرز الله		
(...) مرفوع في حجاب الله		
(...) مطوي عن خلق الله		
(...) مختوم بخاتم الله		
(...) سابق في علم الله		
...) بقدرة الصمدانية)ولا	لا ينالونه	" لا ينالونه بحقيقة الربانية"
ولا (...) بعظمة النورانية		
ولا (...) بعزة الوحدانيّة		
و(...) نازعه سلطانه	فمن تطلع إليها	"فمن تطلع إليها فقد ضاد الله عزَّ وجلَّ في حكمه"
و(...) كشف عَنْ سِتْرِهِ وَسِرِّهِ		
و(...) باء بغضب من الله		
و(...) مأواه جهنم وبئس المصير		

نلحظ في هذا النص تعدد الجمل أو العبارات المحذوفة، وهي معلومات ثانوية غير لازمة، لدلالة ما قبلها عليها بمرجعية قبلية، مُشكِّلة بذلك سلاسل متتالية للحذف. ففي الجمل الست الأولى حذفت عبارة (ألا إنَّ القدر)، ثم الجملة الفعلية (لا ينالونه) في ثلاث جمل. وكلتا الفقرتين جاءتا بعلاقة دلالية هي علاقة الإضافة، وكان حرف الوصل (الواو) رابطا بين جزءٍ منها. ثم تضافرت معها علاقات دلالية أُخر هي علاقة التمثيل، فمثل - عليه السلام - القدر ببحرٍ له عمق السماوات والأرض وعرض المشرق والمغرب، ثم شبّه سواده بالليل المظلم، ومثل نور قعره الذي لا يطلع عليه سوى الله تعالى بالشمس المضيئة، ثم جاءت علاقة الشرط في الفقرة الأخيرة، باستعمال الأداة (مَن)، وقد حذف فعل الشرط والأداة (فمَن تطلع إليها) من الجمل الأربع الأخيرة.

تُسهم هذه العلاقات الدلالية في النص كروابط بين القضايا، فهي علاقات قضوية متداخلة تعمل كعنصر أساسي في بيان الأبنية الصغرى والكبرى للنصوص؛ إذ «نحتاج إلى قواعد لعمل ربط بين أبنية صغرى وأبنية كبرى، فالأمر يتعلق في كلتا الحالين بأبنية دلالية قضوية تتشكل بوصفها سلاسل من القضايا مرتبطة بسلاسل من القضايا»[٢٨].

أما أبنية النص، فقد تكوَّن النص من ثلاث بنيات صغرى، كانت البنية الأولى منها، التي أُفتتح بها النص هي: وصف القدر بالغيب والسر المكنون، والبنية الثانية جاءت لبيان عجز الإنسان عن الإحاطة بالقدر وذلك في الفقرة التي بدأت بعبارة «وَرَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِمْ وَمَبْلَغَ عُقُولِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَهُ بِحَقِيقَةِ الرَّبَّانِيَّةِ...»

إلى توصيفه بذلك الوصف المعجز عن الإحاطة أو الإدراك. ثم جاءت البنية الثالثة والأخيرة: في التحذير من محاولة الاطلاع على قدر الله المكنون في الحجب، والتوعد بالنار والعذاب لمن يتجرأ على ذلك. لتكون البنية الكبرى للنص هي وصف القدر، لبيان عقيدة أهل البيت - عليهم السلام - في القدر.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي عن أَمِير الْمُؤْمِنِينَ -عليه السلام- أنه خطب في النَّاسَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فَقَالَ «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ وَلَا مِنْ شَيْءٍ كَوَّنَ مَا قَدْ كَانَ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ... مُحَرَّمٌ عَلَى بَوَارِعِ ثَاقِبَاتِ الْفِطَنِ تَحْدِيدُهُ وَعَلَى عَوَامِقِ نَاقِبَاتِ الْفِكْرِ تَكْيِيفُهُ وَعَلَى غَوَائِصِ سَابِحَاتِ الْفِطَرِ تَصْوِيرُهُ لَا تَحْوِيهِ الْأَمَاكِنُ لِعَظَمَتِهِ وَلَا تَذْرَعُهُ الْمَقَادِيرُ لِجَلَالِهِ وَلَا تَقْطَعُهُ الْمَقَايِيسُ لِكِبْرِيَائِهِ - مُمْتَنِعٌ عَنِ الْأَوْهَامِ أَنْ تَكْتَنِهَهُ وَعَنِ الْأَفْهَامِ أَنْ تَسْتَغْرِقَهُ وَعَنِ الْأَذْهَانِ أَنْ تُمَثِّلَهُ...وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُقَرُّ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ الْمُتَنَاسَخُ مِنْ أَكَارِمِ الْأَصْلَابِ وَمُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ...صَدَعَ بِمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ وَبَلَّغَ مَا حَمَّلَهُ حَتَّى أَفْصَحَ بِالتَّوْحِيدِ دَعْوَتَهُ وَأَظْهَرَ فِي الْخَلْقِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حَتَّى خَلَصَتْ لَهُ الْوَحْدَانِيَّةُ وَصَفَتْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ وَأَظْهَرَ اللهُ بِالتَّوْحِيدِ حُجَّتَهُ وَأَعْلَى بِالْإِسْلَامِ دَرَجَتَهُ وَاخْتَارَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّوْحِ وَالدَّرَجَةِ وَالْوَسِيلَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَدَدَ مَا صَلَّى عَلَى أَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ»[٢٩].

نلحظ وجود قاعدة الحذف في بداية النص، تارة بحذف جملة وأخرى بحذف عبارة أو كلمة، وهي

معلومات ثانوية وغير أساسية، إذ يمكن الاستغناء عنها في تفسير تتابع القضايا اللاحقة لها، وذلك لوجود دليل على العنصر المحذوف، وهو سابق له أغنى عن وجوده، وهو في كلٍّ منها ذو مرجعية قبلية. والعناصر المحذوفة في النص هي:

المحذوف	موضعه	الدليل عليه
الحمد لله الذي	لا من شيء كوّن ما قد كان	الجملة السابقة (الحمد لله الذي لا من شيء كان)
هو	مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته	لأنه خبرٌ يحتاج إلى مبتدأ
هو مستشهد	بما وسمها به من العجز على قدرته	الجملة السابقة (مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته)
	بما اضطرها إليه من الفناء على دوامه	
محرَّم	على عوامق ناقبات الفكر تفكيره	الجملة السابقة (محرمٌ على بوارع ثاقبات الفطن تحديده)
	على غوائص سابحات الفطر تصويره	
ممتنع	عن الأفهام أن تستغرقه	الجملة السابقة (ممتنع على الأوهام أن تكتنهه)
	عن الأذهان أن تمثّله	

يتكون هذا النص من سلسلة جمل متتابعة أو قضايا صغرى، فالبنية النصية الصغرى الأولى: هي حمد الله تعالى والثناء عليه وذلك في عبارة « الحمد لله الذي لا من شيء كان...»، والبنية الثانية: تنزيه الحق تعالى عن الشبه والنظير بذكر عظيم صفاته التي لا يشركه بها أحد وذلك بعبارات كثيرة أَخذت أغلب النص - وقد حَذفتُ جزءًا كبيرًا منها لطول النص- ابتداءً من قوله - عليه السلام - « مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ « إلى عبارة

« تعالى عن ضرب الأمثال والصفات علوًّا كبيرًا «.

أما البنية الثالثة: فهي الإقرار بنبوة محمد - صلى الله عليه وآله - بعبارة «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، ثم مدح الرسول في البنية الرابعة فابتدأ بعبارةً (الْمُقَرُّ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ الْمُتَنَاسَخُ مِنْ أَكَارِمِ الْأَصْلَابِ وَمُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ) إلى آخر الفقرة. وختم النص بالصلاة على محمد وآل محمد. لتكون البنية الكبرى للنص هي الإقرار بتوحيد الله ونبوة محمد - صلى الله عليه وآله - حيث أن كل «بينة كبرى لمتوالية من الجمل هي تمثل سيمانطيقي لنوع معين أي قضية مستنتجة بواسطة متوالية من القضايا يتضمنها الخطاب أو جزء منه فمن ناحية أولى قد يقتضي هذا الافتراض بأن البنية الكبرى لجمل بسيطة تتفق مع ما تتضمنه بنيتها القضوية» [٣٠]

من أمثلة ذلك أيضا ما روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «أَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ]عليه السلام[حُقّاً، فَأَخْرَجَ مِنْهُ وَرَقَةً، فَإِذَا فِيهَا: سُبْحَانَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، الْقَدِيمِ الْمُبْدِئِ الَّذِي لَا بَدْءَ لَهُ، الدَّائِمِ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ، الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، الْخَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، الْعَالِمِ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ، ذَلِكَ اللهَّ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ»[٣١].

نرى في هذا النص حذف كلمة (سبحان) من خمس جمل، للإيجاز والاختصار مع أن تسبيح الله هو القضية الجوهرية لهذا النص، لكن لفظ (سبحان) في الجملة الأولى أغنى عن ذكره في باقي النص، وأصبح معلومة ثانوية، فلم يعد شرطا لتفسير تتابع القضايا اللاحقة.

فالبنية الكبرى للنص هي توحيد الله ونفي التشبيه عنه تعالى، وذلك عبر قضايا أو بنيات صغرى، وهي تسبيح الله ببعض صفاته التي لا يشركه بها أحد، الواحد، القديم، الحي

الذي لا يموت، الخالق، العالم، ثم تذييل النص بعبارة تبين المعنى الرئيس للنص وهي عبارة «ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ».

والمتلقي لا يستطيع أن يربط عند عملية الفهم جميع القضايا ببعضها، مالم تكن هناك معاني دلالية مترابطة ببعضها البعض في التفسير، حينئذ يستطيع المتلقي إعطاء ربط معقول لهذه القضايا أو المتتاليات الجملية [٣٢].

وتؤدي البنية الكبرى إلى انسجام المعاني الدلالية، والتماسك الكلي للنص إذ «نجد أن هذه البنية الكبرى التي نلح على تأكيد ضرورة البحث عنها في التحليل لا تؤدي فحسب إلى التماسك الكلي، بل تؤدي أيضا إلى التماسك الجزئي المحلي في المستوى الكامن تحت متتاليات الجمل»[٣٣]. فأدى هذا الحذف، وكذلك ترابط الأبنية الصغرى وتتابعها إلى ترابط النص وانسجامه، ومعرفة البنية الكبرى للنص.

ثانيًا: قاعدة الاختيار

«هذه القاعدة تتعلق باختيار القضايا الضرورية لتفسير القضايا الأخرى. فبعض القضايا الصغرى تكون هامة بصفة خاصة، أو وثيقة الصلة بالموضوع فتدخل في البنية الكبرى»[٣٤].

ومن أمثلة قاعدة الاختيار ما رويّ عن أمامنا الرِّضَا -عليه السلام- عندما»ذُكِرَ عِنْدَهُ الْجَبْرُ وَالتَّفْوِيضُ فَقَالَ أَلَا أُعْطِيكُمْ فِي هَذَا أَصْلًا لَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَا تُخَاصِمُونَ عَلَيْهِ أَحَداً إِلَّا كَسَرْتُمُوهُ قُلْنَا إِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطَعْ بِإِكْرَاهٍ وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَةٍ وَلَمْ يُهْمِلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُمْ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ فَإِنِ ائْتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللهُ عَنْهَا صَادّاً وَلَا مِنْهَا مَانِعاً وَإِنِ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ

فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ ثُمَّ قَالَ [عليه السلام[مَنْ يَضْبِطْ حُدُودَ هَذَا الْكَلَامِ فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ.» (٣٥).

في هذا النص عدة أبنية صغرى، الأولى منه: هي عرض الإمام – عليه السلام – إعطاء أصل

واضح لا اختلاف فيه، والبنية الثانية: هي وصف الله بصفات تقع في صميم موضوع الجبر والتفويض، ثم جاءت البنية الثالثة: متضمنة علاقة الشرط والجزاء لتوضيح حقيقة هذا الموضوع، فللعباد سبيل الأخذ والترك في الطاعة والمعصية، لكنه تعالى لم يعص غلبة بل له سبيل المنع إذا شاء.

ويمكننا ضمن قاعدة الاختيار حذف جزء كبير من هذا النص والاكتفاء بالفقرة التالية «فَإِنِ ائْتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللهُ عَنْهَا صَادّاً وَلَا مِنْهَا مَانِعاً وَإِنِ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ» التي توضح المعنى الأساسي للنص، فهي وثيقة الصلة بالبنية الكبرى للنص. وقاعدة الاختيار قاعدة اختزالية «والمعلومات المختزلة في هذا المقام ليست عرضية كما وصفنا سابقا بل جوهرية مقومة لمفهوم أو إطار ما، أعني أنها تخصص عللا متعارفة أو متوقعة كما تخصص أسباب الحوادث ونتائجها، وأسباب الأفعال وآثارها، والأفعال التمهيدية والمساعدة، والوقائع المتشابكة التعقيد والتصرفات أو الأغراض» (٣٦).

فالبنية الكبرى للنص والمرتبطة بقاعدة الاختيار بصورة رئيسة هي الجبر والتفويض، وإيضاح عقيدة أهل البيت – عليه السلام – في هذا الموضوع العقائدي الذي طال الكلام فيه وكثر، فلا جبر ولا تفويض لكن الأمر بين ذلك.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي عن سؤال رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ –عليه

السلام – قال «جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاكَ أَ بِقَدَرٍ يُصِيبُ النَّاسَ مَا أَصَابَهُمْ أَمْ بِعَمَلٍ فَقَالَ]عليه السلام[: إِنَّ الْقَدَرَ وَالْعَمَلَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ فَالرُّوحُ بِغَيْرِ جَسَدٍ لَا تُحَسُّ وَالْجَسَدُ بِغَيْرِ رُوحٍ صُورَةٌ لَا حَرَاكَ بِهَا فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيَا وَصَلُحَا كَذَلِكَ الْعَمَلُ وَالْقَدَرُ فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْقَدَرُ وَاقِعاً عَلَى الْعَمَلِ لَمْ يُعْرَفِ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَكَانَ الْقَدَرُ شَيْئاً لَا يُحَسُّ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِمُوَافَقَةٍ مِنَ الْقَدَرِ لَمْ يَمْضِ وَلَمْ يَتِمَّ وَلَكِنَّهُمَا بِاجْتِمَاعِهِمَا قَوِيَا، وَلِلَّهِ فِيهِ الْعَوْنُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ»[٣٧].

يمكن القول إن قاعدة الاختيار قد وقعت على عبارة « الْقَدَرَ وَالْعَمَلَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ « فهي العبارة التي لا يمكن حذفها أو اختزالها، لاحتوائها على معلومة جوهرية أساسية يقوم عليها النص.

أما أبنية النص؛ فتتمثل البنية الصغرى الأولى في سؤال السائل عن حقيقة ما يصيب الناس، لتكون البنية الثانية هي إجابة الإمام السجاد – عليه السلام – له بتشبيه القدر والعمل، بالروح والجسد، لتلازمهما

واجتماعهما، ثم جاءت البنية الثالثة: في تفصيل هذا التشبيه ابتداءً بعبارة « فَالرُّوحُ بِغَيْرِ جَسَدٍ لَا تُحَسُّ...» إلى آخر الفقرة. ثم تذييل النص بعبارة « ولله فيه العون لعباده الصالحين «. لبيان عون الله تعالى ورحمته لعباده الصالحين فيما يختار لهم من الأقدار. «فكل قضية مستنتجة بواسطة فئة فرعية من متوالية هي بنية كبرى لتلك المتوالية الداخلة تحت اللزوم، وفي مستوى تال يمكن أيضا أن تتوقف القضايا ذات البنيات الكبرى على الاندراج في إطار أوسع أي تستنتج أعم بنية كبرى استنتاجا ملتحما»[٣٨].

وتوزعت المعلومات على طول سلسلة الجمل، المتوالية بصورة منتظمة في النص، لتعطي صورة البنية النصية الكبرى وهي تلازم القدر والعمل فيما

يصيب الإنسان، وهي يمكن أن تدخل تحت عنوان القضاء والقدر.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي أَنَّ «النَّاسَ أَتَوُا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بَعْدَ وَفَاةِ عَلِيٍّ]عليه السلام[لِيُبَايِعُوهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَخَصَّ مِنْ فَضْلٍ، وَعَمَّ مِنْ أَمْرٍ، وَجَلَّلَ مِنْ عَافِيَةٍ حَمْداً يُتَمِّمُ بِهِ عَلَيْنَا نِعَمَهُ وَنَسْتَوْجِبُ بِهِ رِضْوَانَهُ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَفِتْنَةٍ وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ، وَقَدْ نَبَّأَنَا اللهُ عَنْهَا كَيْمَا نَعْتَبِرَ فَقَدَّمَ إِلَيْنَا بِالْوَعِيدِ كَيْ لَا يَكُونَ لَنَا حُجَّةٌ بَعْدَ الْإِنْذَارِ فَازْهَدُوا فِيمَا يَفْنَى وَارْغَبُوا فِيمَا يَبْقَى وَخَافُوا اللهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، إِنَّ عَلِيّاً]عليه السلام[فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَالْمَبْعَثِ عَاشَ بِقَدَرٍ وَمَاتَ بِأَجَلٍ وَإِنِّي أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تُسَالِمُوا مَنْ سَالَمْتُ وَتُحَارِبُوا مَنْ حَارَبْتُ فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ» (٣٩).

وفي هذا النص أربع أبنية صغرى، الأولى منها: في حمد الله تعالى، وهي البنية التي تُفتح بها الخطب عادة، ثم جاءت البنية الثانية في الحضِّ على الزهد، فوصف الدنيا بأنها دار بلاء وفتنة وزوال. والبنية الثالثة في القدر والأجل، والرابعة: في شرط البيعة. لتكون البنية الكبرى للنص هي الوعظ والمُبايعة. و»تكمن الوظيفة الدلالية للأبنية الكبرى والقواعد الكبرى في بناء وحدات من سلاسل القضايا... ويمكن أن نفسر السلسلة بوصفها تابعة بعضها لبعض من خلال القضية الأعم» (٤٠).

وعند تطبيق قاعدة الاختيار على هذه الخطبة، يمكننا حذف أغلب أجزائها والاكتفاء بالفقرة التي تحمل عنوان النص الرئيس وهو المبايعة وذلك في « وَإِنِّي أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تُسَالِمُوا مَنْ سَالَمْتُ وَتُحَارِبُوا مَنْ حَارَبْتُ فَبَايَعُوهُ « إذ لا يمكن حذفها والاستغناء عنها فهي معلومة جوهرية في النص. ونلحظ تطبيق قاعدة الحذف في بداية

النص وهو حذف عبارة « الحمد لله على ما « من ثلاث جمل تالية للجملة الأولى ومعطوفة عليها؛ لدلالتها عليها.

وقد تتابعت بعض العلاقات الدلالية في النص وهي: علاقة التضاد بين عدة مفردات هي: (خصّ – عمّ)، و(يفنى – يبقى)، و(السر – العلانية)، و(المحيا – الممات)، و(عاش – مات)، و(تسالموا – تحاربوا)، وكذلك علاقة الإضافة وعلاقة الشرط في البنية الأخيرة التي عُدت أساس النص، إذ «تستلزم عملية الفهم اكتشاف العلاقات المنطقية في النص والمعلومات المقدمة من خلال تلك العلاقات»[٤١]. فعملت سلاسل الجُمل هذه عبر العلاقات الدلالية، والأبنية النصية الصغرى والكبرى على التحام النص، وانسجام معانيه، وبيان المحتوى القضوي له.

ثالثًا: قاعدة التعميم

«تتعلق هذه القاعد بالإحلال أو الاستبدال؛ حيث تحذف معلومات أساسية لتصور ما وتحل محلها قضية جديدة تتضمن مفهوميًّا القضايا القديمة»[٤٢].

ومن مواضع ذلك في روايات كتاب التوحيد ما روي عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – أنه قال «فِي كُلِّ قَضَاءِ اللهَّ خِيَرَةٌ لِلْمُؤْمِنِ»[٤٣].

وفي هذا النص المبارك تعميم بلفظ (القضاء) إذ يدخل تحت هذا المفهوم عبارات كثيرة، منها نوع القضاء، خيرًا كان أم شرًا، عافيةً أم بلاء، منعًا أم عطاء، وهو في حقيقته خيرٌ سواء كان ذلك الخير في العاجل أم في عاقبة الأمر، وما على المؤمن إلا الصبر واحتساب الأجر، وفي قصة الخضر مع السفينة والغلام والجدار، التي يذكرها لنا القرآن الكريم خير دليل.

فقاعدة التعميم هي «كل تتابع قضوى، يرد في التصورات التي

يستوعبها تصور علوي جامع، تحل محله قضية بهذا التصور العلوي» (٤٤).

فجاءت كلمة (القضاء) وهي المحتوى القضوي للنص جامعة تحتها كثيرا من المفاهيم المحذوفة من سطح النص، ومما يُلحظ أن للنص بنية واحدة هي البنية الصغرى والكبرى في ذات الوقت، وموضوع الخطاب هو: خيرة قضاء الله تعالى.

وتقتضي قراءة النصوص «تفاعلا حيويا من القارئ، إنه هو الذي يحيي فعل القراءة وينشطها، حتى يستخرج من النص ما لا يقوله النص، وأن يعيد بجدية ملء الفضاءات الفارغة إن كانت ظاهرة، إنه يتكفل بعملية بناء دلالات موازية للنص الأصلي، فيسهم بذلك في إثراء وإخصاب مضامين النصوص وتوسيع دائرة المعلومات التي تتضمنها» (٤٥).

وجاء الحديث بصيغة التعميم لا التفصيل لأنه يُلقى إلى مجتمع إسلامي سبق لهم الاستماع إلى مثل هذه الأحاديث عن القضاء والقدر، ولديهم معارف سابقة متفاوتة كُلّ حسب علمه ومعرفته العقائدية لهذا الموضوع.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي عمّن قال «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ]صلى الله عليه واله[«يَقُولُ قَدَّرَ اللهُّ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» (٤٦).

ففي هذا النص عموم في لفظة (المقادير)، إذ تشتمل على عدة تساؤلات، فما هي هذه المقادير ولمن قدرت؟، وهل هذه المقادير حتمًا لازمًا فتستوجب بطلان السعي والعمل، والثواب والعقاب؟ إن المقصود بها مقادير جميع المخلوقين، وبكل تفاصيلها، وما يصيب الإنسان يكون نتيجة اجتماع القدر والعمل وتلازمهما، من غير الاقتصار على أحدهما دون الآخر. وقد علق السيد نعمة الله الجزائري على النص بقوله: «أي: كتب

مقاديرها وحدّ حدودها في اللوح المحفوظ، إلا أن له فيه البداء بالزيادة والنقصان والمحو والإثبات»[٤٧]. فكل هذه التفاصيل تكمن تحت لفظ المقادير، حيث حُذفت من النص معلومات أساسية، واستبدلت بهذه اللفظة الشاملة.

وعملية فهم هذه القضايا أو الأبنية النصية «عملية بنائية يكون فيها للمعرفة المسبقة دور مهم. وتتجلى هذه المعرفة في وجود مخطط إنتاج يدركه الكاتب ومخطط تفسير يدركه القارئ ومن هنا لا نستطيع النظر إلى النصوص في انعزالها، ولكن بربطها بمعرفة وتوقعات مستخدمي اللغة والتي تمدنا بركائز متخيلة لفهم النص»[٤٨]. فالمتلقي المسلم يمتلك قاعدة معرفية عقائدية عن القدر، وهي مختلفة من شخص إلى آخر، والبنية الصغرى هي تقدير المقادير قبل الخلق، وفي هذا النص بنية نصية واحدة فقط فهي إذن البنية الكبرى في الوقت ذاته.

ومن مواضع ذلك أيضا ما روي عن «عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ]عليه السلام[: مُرْ أَصْحَابَكَ أَنْ يَكُفُّوا مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ وَيَدَعُوا الْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ وَيَجْتَهِدُوا فِي عِبَادَةِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ.» [٤٩]. ففي النص أبنية صغرى، كل واحدة منها تدخل تحت قاعدة التعميم، فالبنية الأولى: هي كف الألسن،وهو لفظ عام يدخل تحته كثير من الأمور المنهي عنها: كالنميمة، والغيبة، والكذب والافتراء، والتعرض للناس، والسب وغيره من القبائح التي يقوم بها اللسان.

والبنية الثانية: هي ترك الخصومة في الدين، ولم يحدد النص، نوع الخصومة المنهي عنها، ومعلوم أن المناظرة لدفع الشبهات وتحقيق الحق، وإرشاد الجاهلين بالتي هي أحسن أمر مطلوب، لكن النهي يكون عن جملة من المجادلات منها: الكلام في ذات الله وحقيقة صفاته، أو في قضاء

الله وقدره، أو إظهار الفخر والقدرة والتعصب، أو من لا يحسن المناظرة فيغلب [٥٠].

والبنية الثالثة الصغرى: في الأمر بالاجتهاد في العبادة، والعبادة لفظ عام تدخل تحته مختلف أنواع العبادات المعروفة. لتكون البنية الكبرى للنص: هي الوعظ والإرشاد. والبنية الكبرى للنص لا تختلف عن موضوع الخطاب إذ إنَّ «وصف مفهوم موضوع الخطاب (أو جزء من الخطاب) المعطى أعلاه متطابق مع وصف البنيات الكلية. أي أن بنية كلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما»[٥١].

وأبنية النص الثلاثة المختلفة في الدلالة، جمعتها القواعد والبنية الكبرى للنص في سلسلة من القضايا، وفُسرت بوصفها تابعة لبعضها البعض عبر القضية الأعم للنص وهي النصح والإرشاد، فهي تقلل وتنظم معلومات الأبنية الصغرى من وجهة نظر أكثر شمولية، ولذلك تُعد القواعد الكبرى عند النصيين عمليات اختصار للمعلومات الدلالية [٥٢].

رابعًا – قاعدة التركيب (الإدماج)

«في هذه القاعدة يمكن بناء قضية من مجموعة من القضايا، حيث تدمج مجموعة من القضايا فتكون قضية كبرى» [٥٣].

ومن أمثلة هذه القاعدة ما روي عن»عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللهَّ]عليه السلام[قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ ثَمَنُ الْجَنَّةِ»[٥٤].

في هذا النص إدماج لبعض المفاهيم الرئيسة والضرورية، والاكتفاء ببؤرة النص ونواته وهي « قول لا إله إلا الله «، غير أنّ لهذا القول شروط ذكرتها الأحاديث الأخرى مثل قول رَسُول اللهَّ – صلى الله عليه وآله – «إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قَالَهَا مُخْلِصاً اسْتَوْجَبَ

الْجَنَّةَ وَمَنْ قَالَهَا كَاذِباً عُصِمَتْ مَالُهُ وَدَمُهُ وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ»[٥٥]. وكذلك قول الإمام الرضا – عليه السلام – في سلسلة الذهب «بشروطها، وأنا من شروطها». فكلمة مخلصًا أو بشروطها كلمات جوهرية وأساسية، لكن النص اكتفى بذكر الحالة الشاملة ولم يذكر أيًا من تفاصيلها.

ويؤكد العلماء النصيون على ضرورة البحث عن البنية الكبرى والقواعد التي تحكمها في التحليل فبدونها «يمكن أن ننزلق بسهولة إلى تصور التماسك النصي على اعتبار أنه مجرد رابط سطحي وخطي بين الوحدات الجزئية»[٥٦].إذ إن تطبيق قواعد البنية الكبرى، اختصار موجز للنص، يفهم على أنه تشكيل فعلي مباشر للبنية الكبرى، وهذه القواعد تطبق بصورة متباينة تبعًا للمتلقي وموقفه الإدراكي، والسياق [٥٧].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي»قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ]عليه السلام[نَحْنُ وَجْهُ اللهِ الَّذِي لَا يَهْلِكُ»[٥٨].

في هذا النص تركيب وإدماج للبنية النصية، فلم يبين –عليه السلام– المُراد بوجه الله ولم يفصل القول فيه، واكتفى باللفظ المفتاح. ويلاحظ في هذه القاعدة ضرورة وجود «ترابط متلازم بين « التصورات»، ولا يلزم أن يوجد التصور الكلي أو الشمولي حتما في النص، بل يستنتج من عدد من التصورات القائمة في سلسلة القضايا الواردة، أي أنه يستخلص من عناصر النص ذاته، ويشترط حينئذ ألا يفقد النص مضمونه الأصلي أو المعنى الحقيقي الفعلي، أي ما يسمى « تيمة النص» [٥٩].

فالنص احتفظ بأكثر العناصر جوهرية، وهو المعنى الفعلي المراد إيصاله إلى المتلقي لبيان المقصود من وجه الله المنزه عن التشبيه والتجسيم، فجاء قول الإمام – عليه السلام – لنفي التجسيم عن الحق تعالى، فالمُراد بوجه الله أهل بيت – عليهم السلام– وهم

دين الله ووجه الذي يتوجه به العباد إليه على الكناية لا الحقيقة، لأن الوجه من كل شيء أول ما يظهر منه ويتوجه به. وبهذا الإسهام القضوي، تتأسس وحدة النصوص الدلالية، ويعرف بها موضوع النص والمعلومات الأساسية، وتعرف البنية الكبرى للنص[٦٠]. وهي بيان عظيم لمنزلة أهل البيت – عليهم السلام – وهي البنية النصية الوحيدة، فلم يحتو النص على أبنية صغرى.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ] عليه السلام [قَالَ : دَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ فَقَالَ اتَّقُوا اللهَّ وَعَظِّمُوا اللهَّ وَلَا تَقُولُوا مَا لَا نَقُولُ فَإِنَّكُمْ إِنْ قُلْتُمْ وَقُلْنَا مِتُّمْ وَمِتْنَا ثُمَّ بَعَثَكُمُ اللهَّ وَبَعَثَنَا فَكُنْتُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهَّ وَكُنَّا»[٦١].

يتكون النص من أبنية صغرى عدة، الأولى منه: في الأمر أو الحضّ على تقوى الله وتعظيمه، والبنية الصغرى الثانية: في النهي عن التقول على أهل البيت – عليهم السلام– والثالثة: في نتيجة ما يكون بعد القول من ممات وبعث وحساب وتفريق بالمقام، وقد استعمل – عليه السلام – في هذه البنية الربط الإضافي والزمني والسببي عبر أدوات العطف (الواو، وثم، والفاء). لتكون البنية الكبرى للنص، هي التحذير من الغلو والتقول في أهل البيت.

وهذه الأبنية تستلزم سلسلة دلالية من القضايا التي تطبق عليها القواعد الكبرى، ففي النص إدماج لبعض المفاهيم الرئيسة المهمة في النص، والاكتفاء بالكلمات المفاتيح؛ فلم يذكر النص ما هو القول الذي يقولونه، وأين يكونون من قالوا ذلك، لكن ذلك لا يعني الغموض والإبهام المذموم، بل هو إدماج وتركيب لدلالة السياق عليه،في عبارة « دَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ »، وعليه يكون النهي عن الغلو وادعاء الربوبية لأهل البيت – عليهم السلام

– وتكون نتيجة اختلاف المقام معلومة أيضا.

وحدد النص الكلمات الأكثر جوهرية وهذه هي مهمة القواعد الكبرى حسب قول فان دايك فهي تكمن «في تحديد ما هو أكثر جوهرية في النص ككل من جهة الدلالة والدلالات الأخرى الثانوية المساعدة، وبالتالي تقتصر القواعد الكبرى على المعلومات الجوهرية في النظر. أما التفاصيل فقد تكون مهمة في ذاتها لتحقيق مقاصد معينة، ليس لتشكيل البنية التجريدية المحورية في النص»[٦٢]. فعملت البنية الكبرى على التماسك الكلي الدلالي للنص، وانسجام معانيه.

خاتمة

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث في الآتي:

١– تتناسب الأبنية الصغرى والكبرى في روايات كتاب التوحيد للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، مع القاعدة المعرفية المسبقة للقارئ، مما يؤدي إلى انسجام النصوص كُليًا وجزئيًا، عبر معرفة الكلمات المفتاح، والمحتوى القضوي للنص.

٢– جاءت الأبنية الكبرى للنصوص إما في توحيد الله تعالى ونفي التشبيه عنه، أو في القضاء والقدر، أو في الجبر والتفويض. وهو ما ينسجم مع مواضيع الخطاب في هذا الكتاب.

٣– تضافرت العلاقات الدلالية في الأبنية الصغرى، والقضايا الفردية في عموم كتاب التوحيد كحلقات اتصال بين المفاهيم، مكونة روابط دلالية منطقية، عَملت على تجانس النصوص وتعالقها، وإضافة صفة الاستمرارية الدلالية للنصوص.

الهوامش:

١- يُنظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانغونو: ١٨

٢- يُنظر: نظرية علم النص: حُسام أحمد فرج: ١٢٧

٣- مدخل إلى علم اللغة النصي، هاينه من وفيهفيجر: ٥٥

٤- يُنظر: نحو آجرومية للنص الشعري (بحث)، سعد مصلوح: ١٥٤

٥- شعر الشريف الرضي في ضوء علم النص (أطروحة)، عباس الغرّاوي: ١٠٩

٦- م. ن: ص. ن.

٧- يُنظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، هاينه من وفيهفيجر: ٤٨

٨- النص والسياق، فان دايك: ١٩٢

٩- م. ن: ٥٠

١٠- التحليل اللغوي للنص، برينكر: ٦٩

١١- لسانيات النص، محمد الخطابي: ٢٧٧

١٢- ينظر: م.ن، ص.ن

١٣- نظرية علم النص، حسام أحمد: ١٥٧

١٤- م.ن، ص.ن

١٥- يُنظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٢٤٤،٢٤٥

١٦- يُنظر: م.ن: ٢١٠

١٧- يُنظر: تحليل الخطاب، بروان ويول: ٢٦٧-٢٦٩

١٨- إشكالات النص، جمعان بن عبد الكريم: ٢٣١

١٩- يُنظر: م.ن، ص.ن

٢٠- يُنظر: نظرية التأويل (مقدمة المترجم)، بول ريكو: ١٧

٢١- نحو النص (رسالة)، عثمان أبو زنيد: ٣٩

٢٢- يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ٢٣٧

٢٣- يُنظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٧٦

٢٤- بلاغة الخطاب وعلم النص،

صلاح فضل: ٢٤٦
٢٥- يُنظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك:٨١
٢٦- علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٦،١٩٧
٢٧- التوحيد، الشيخ الصدوق: ٣٨٣،٣٨٤
٢٨- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك:٧٧
٢٩- التوحيد: ٦٩-٧٢
٣٠- النص والسياق، فان دايك: ١٩١
٣١- يُنظر: علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٦،١٩٧
٣٢- يُنظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، هاينه من وفيهفيجر: ٤٦
٣٣- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ٢٤٦،٢٤٧
٣٤- علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٦،١٩٧
٣٥- التوحيد: ٣٦١
٣٦- النص والسياق، فان دايك، ٢٠١
٣٧- التوحيد: ٣٦٦، ٣٦٧
٣٨- النص والسياق، فان دايك، ١٩٢
٣٩- التوحيد:٣٧٨
٤٠- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك:٧٨
٤١- علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٥
٤٢- علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٦،١٩٧
٤٣- التوحيد: ٣٧١
٤٤-التحليل اللغوي للنص،برينكر:٦٩
٤٥-لسانيات النص، ليندة قياس:١٥٣
٤٦- التوحيد: ٣٦٨
٤٧- نور البراهين، نعمة الله الجزائري: ٣١٩،٣٢٠
٤٨- نظرية علم النص، حُسام أحمد فرج:١٥٧
٤٩- التوحيد: ٤٦٠
٥٠- نور البراهين، نعمة الله الجزائري: ٥٠٩،٥١٠
٥١- لسانيات النص، محمد خطابي: ٤٤
٥٢- علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٦
٥٣- علم لغة النص، عزة شبل: ١٩٦،١٩٧

٥٤- التوحيد: ٢١

٥٥- التوحيد: ٢٣

٥٦- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ٢٤٦

٥٧- التحليل اللغوي للنص، برينكر: ٦٩

٥٨- التوحيد: ١٥٠

٥٩- اتجاهات لغوية معاصرة (بحث)، سعيد بحيري: ١٩٣

٦٠- يُنظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، هاينه من وفيهفيجر: ٤٩

٦١- التوحيد:

٦٢- اتجاهات لغوية معاصرة (بحث)، سعيد بحيري: ١٨٩

المصادر والمراجع:

أولًا: الكتب

١- إشكالات النص دراسة لسانية نصية، د. جمعان بن عبد الكريم، النادي الأدبي بالرياض، الدار البيضاء- بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت عالم المعرفة، ١٩٩٢.

٣- تحليل الخطاب، ج.ب براون، ج يول، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م.

٤- التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: أ.د سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

٥- التوحيد، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي القمي (ت ٣٨١ه)، تح: السيد هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط١.

٦- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: د. سليمان العطّار، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٧- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ثون أ.فان دايك، ترجمة: أ. د سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط١، ٢٠٠١م.

٨- لسانيّات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.

٩- لسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجًا، الاستاذ ليندة قياس، تقديم أ.د عبد الوهاب، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

١٠- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب المعجمي، جامعة

الملك سعود، المملكة العربية السعودية – الرياض، ١٤١٩ هـ.

١١- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨م.

١٢- النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق – المغرب، ٢٠٠٠م.

١٣- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٤- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٥- نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم، ط١، ١٤١٧ه، ج١

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

١٦- شعر الشريف الرضي – في ضوء علم اللغة النصي-، عباس إسماعيل سيلان الغرّاوي، أطروحة دكتوراه، جامعة المستنصرية – كلية التربية، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥م.

١٧- نحو النص (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، عثمان حسين مسلم أبو زنيد، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٤م.

ثالثًا: البحوث

١٨- اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، أ.د سعيد حسن بحيري، علامات، ج٣٨، م ١٠، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٩- نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول – مصر، مجلد١٠، العدد٢،١، ١٩٩١م.